وصف الشاعر تجربته الشعرية في شعره في القرن الثاني الهجري

أ . م . د سناء هادي
م . د هدى هادي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الملخص :

إن موضوع (وصف الشاعر لتجربته الشعرية في شعره في القرن الثاني الهجري) لم يأخذ حقه في الدراسة والتحليل ونريد بذلك أن الفرادة الذاتية للشاعر هو أن يقول:أريد أن أُبدع شيئا لم يبدعه أحدا غيري أو نقول يتضافر الخيال والعقل وقوى النفس كي يتم الابداع والخلق ، إلا أننا لم ننطلق من مصادر النقد ، وإنما انطلقنا من دواوين الشعراء فلسان حالها يقول لماذا يجب على الشاعر دائما أن يبدع؟ فيجيب البحث عن الأسئلة الآتية متى يعسر قول الشعر على الشاعر؟ ومتى يطاوعه الشعر؟ متى يجد مشقة في الكتابة؟ ومتى يجد لذة فيها؟ وهل يؤثر جمال الشاعر وقبحه في موضوعات شعره ؟ ومتى يكون الإعجاب في الشعر؟ ومتى يعزف عن الشعر؟ ومتى يحب الشعر؟ ومتى يجد الأديب غربة في مجتمعه؟ ومتى يموت الشعر؟ ومتى يخلد الشعر؟

هذه الأسئلة نجيب عليها من وجهة نظر الشعراء لا النقاد .

المقدمة

مازال تراثنا الشعري تراثا ثرا على الرغم من كثرة الدراسات فيه و،ومازالت هناك جوانب متبقية لم تأخذ حقها في الدراسة والتحليل حتى الآن منها موضوع (وصف الشاعر لتجربته الشعرية في الشعر في القرن الثاني الهجري) وذلك إننا نعلم كم بذلت كتب النقد من جهد، حتى تحدد مستوى الشعر من ناحية الألفاظ والمعاني والتراكيب والصورة الشعرية والخيال والوزن والقافية وما الى ذلك، لكننا لا نعلم وجهة نظر الشاعر في

شعره، هل تتفق مع وجهة نظر الناقد لشعره ام تختلف ؟ وهل نظر إلى شعره، كما ينظر له الناقد ؟

ومن خلال استقرائنا لشعراء من القرن الثاني الهجري وجدنا أن وصف الشاعر لشعره جاء متناثرا ضمن الأغراض الشعرية ؛ إذ إن هذا الموضوع لم يعد غرضا بذاته، فما كان أقرب في تفاصيله الى وصف تجربة الشاعر الشعرية جعلناه ضمن هذا البحث .

وقد تناولت بعض مصادر النقد هذا الموضوع تناولا موجزا فقد أفرز الجاحظ (ت255هـ) بابا لتشبيه الشاعر شعره بالديباج والوشي وهلهلة النسج والبرد اليماني [1] وتعرض ابن قتيبة (ت 276هـ) الى قضية عسر الشعر على الشاعر وتعذر الكتابة على البليغ والخطيب من غير أن يورد مثالا للشاعر يصف عسرة الشعر في شعره، لكنه أورد قصصا لبعض الشعراء حين سئلوا عن صنيعهم إذا عسر عليهم قول الشعر[2]، وضمّن الحاتمي (ت388هـ) كتابه حلية المحاضرة في صناعة الشعر موضوعا ((أحسن ما قيل من وصف الشعر))[3] لشعراء جاهليين وإسلاميين وأمويين وعباسيين مشهورين ومغمورين، وذكر الحصري (ت435هـ) في كتابه زهر الآداب وثمرة الألباب موضوعا عن فضل الشعر بنصوص شعرية[4] وعرض موضوعا آخر عن (الفقر في الشعر) يقصد الافتقار الى الموهبة الفنية .

وانتبه الثعالبي (ت 429هـ)على موضوع وصف الشعر في الشعر وتعرض لاثنين من الشعراء : هما ابن الرومي والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني [5] :

وتوجد دراسة حديثة بارزة في موضوع وصف الشعر وهي رسالة دكتوراه مطبوعة في تونس بعنوان (الشعر على الشعر بحث في الشعرية العربية من منظور شعر الشعراء على شعرهم الى القرن الخامس الهجري) للدكتور الطاهر اليمامي .

وقد تناول وصف الشاعر لشعره في الأغراض الشعرية ولم يتعرض لموضوع وصف الشاعر لتجربته الشعرية في الشعر.ولذا سنتناول وصف الشاعر لشعره في تجربته الشعرية .

التجربة الشعرية

إن جوهر التجربة الشعرية هو الفرادة الذاتية التي تتيح للشاعر أن يقول : أريد أن أبدع شيئا لم يبدعه احد غيري أو تقول هي تضافر الخيال والعقل وقوى النفس كي يتم الإبداع

والخلق [6]، إلا إننا لم ننطلق من مصادر النقد ، وإنما انطلقنا من دواوين الشعراء فلسان حالها يقول لماذا يجب على الشاعر دائما ان يبدع ؟ فيجيب البحث عن الأسئلة الآتية متى يعسر قول الشعر على الشاعر ؟، ومتى يطاوعه الشعر؟، ومتى يجد مشقة في الكتابة ؟، ومتى يجد لذة في الكتابة ؟ وهل يؤثر جمال الشاعر وقبحه في موضوعات شعره؟ ومتى يكون الإعجاب في الشعر؟ ومتى يعزف عن الشعر؟ ومتى يحب الشعر؟ ومتى يجد الأديب غربة في مجتمعه؟ ومتى يموت الشعر؟ ومتى يخلد الشعر؟ هذه الأسئلة نجيب عليها من وجهة نظر الشعراء لا النقاد فلذلك لا تتوقع غزارة المادة العلمية.

وصف أبي دلامة لتجربته الشعرية في شعره :

كان أبو دلامة (ت161هـ) شاعرا مطبوعا ، مفلقا ، ظريفا ، كثير النوادر في الشعر ، وكان صاحب بديهة مداحا للخلفاء[7] ، ومن نوادره الظريفة في بيان تجربته الشعرية في كتابة الشعر قوله في قصيدة يهنئ المهدي بالخلافة :

هذي مقالةُ شيخٍ من بني أَسد

يُهدي السلامَ الى العبّاس في الصُحُف

تخطُّها من جواري المِصْرَ كاتبةٌ

قد طالما ضربت في اللام والألف

وطالما اْختَلَقَتْ صيفا وشاتيةً

الى معلمها باللوحِ والكتفِ[8]

يختار أبو دلامة طريقة الكتابة التي تدون بها تجربته الشعرية ، يقول في البيت الاول (هذه مقالة شيخ من بني أسد) مقالة يعني قصيدة. وقوله :(شيخ من بني أسد) يقصد نفسه، ويقول في الشطر الثاني (يهدي السلام الى العباس في الصُحُف) العباس عم الخليفة المهدي وهو الممدوح وقوله (في الصُحُف) جمع كثرة على وزن (فُعُل)[9] ويشير تعدد الصحف الى طول القصيدة التي كتبها والتي تقع في أربعة وعشرين بيتا .وهي تعد قصيدة طويلة بالنسبة لشعر أبي دلامة .اذ يحتوي ديوانه على ثلاث قصائد طوال فقط ، تقع احداهن في (26) بيتا والأخرى في (25) بيتا ، وهذه القصيدة في (24) بيتا .

ويكرر قوله (طالما) ليدل على الوقت الطويل الذي استغرقته الجارية في التدرب على كتابة القصائد وتشدده في حسن الكتابة الى درجة ضرب الجارية واختلافها الى معلمها صيفا وشتاء ، وقوله (صيفا وشاتية) تدل كذلك على استمرارية الزمن في كتابة القصائد.

وقوله في بيان منفعة الشعر ، وقد خاصم رجلا في داره ، فارتفعا الى عافية القاضي[10] ، فانشأ يقول :

لقد خاصمتْني دُهاةُ الرّجال

وخاصَمْتُهاَ سنه وافية

فما أَدْحَضَ اللهُ لي حُجَة

ولا خيَّب اللهُ لي قافية

ومن خفتُ من جوره في القضاء

فلستُ أخافكَ يا عافية [11]

((فقال له عافية : أما والله ، لأشكونك الى أمير المؤمنين ، ولأعلمنه انك هجوتني، قال: إذن يعزلك . قال: ولم ؟ قال: لأنك لا تعرف المديح من الهجاء ، فبلغ ذلك المنصور ، فضحك وأمر لأبي دلامة جائزة))[12]، فقوله في الشطر الأخير (فلست أخافك يا عافية) يعني انه قاض عادل فلا يخافه الشاعر . أما القاضي عافية ففهم النص على أنه ذم له كأن يكون رجلا ضعيفا فلا يخافه ، فظن أن أبا لامة هجاه .إما قول الشاعر(فلا خيب الله لي قافية) ذلك أنه في شعره قد كسب الخليفة وحقق مكاسب مادية ويتكررمثل هذا الموقف في ديوانه حتى وان كان مخطئا[13] .

في حين يقول أبو دلامة في العزوف عن الشعر ، وقد مر بنخاس يبيع الرقيق ، فرأى عنده منهن من كل شيء حسن ، فأنصرف مهموما ، فدخل الى المهدي ، فأنشده :

انْ كُنتَ تبغي العيش حُلْواً صافياً

فالشِّعرُ أَعزبْهُ وَكُنْ نَخّاسا

تَنَلِ الطَّرائِف من ظرافَ نُهَّد

يُحدِثْنَ كُلَّ عشيَّةٍ أعْراسا

والرِّبحُ فيما ذلك راهنٌ

سمْحاً ببيْعكَ كُنت أو مكَّاسا

دارت على الشُّعراءِ حُرفةُ نوبةٍ

فتَجَرَّعوا من بعد كأسٍ كاسا

وتسربلوا قُمْصَ الكَسادِ فحاولوا

بالنَّخسِ كَسباً يُذهِب الإفلاسا[14]

يرى الشاعر أن مهنة النخاس أفضل من مهنة الشاعر لأنه أكثر ربحا منه ، فالشاعر تمر به ظروف من الحزن والأسى ، أما النخاس فأنه لو باع الجواري بأقل الأسعار يربح أكثر مما يربح الشاعر.

وصف بشار بن برد تجربته الشعرية في شعره

ولد بشار في البصرة نحو سنة (96 هـ) ، ثم سكن البصرة فبغداد التي بقي فيها حتى وفاته سنة (167 هـ) ، وكان بشار من أحسن الناس حديثا وأظرفهم مجلسا ، وأكثرهم ملحا، وعرف بالبداهة و سرعة الخاطر، وقال عنه معاصروه : ((عهدي بالبصرة وليس فيها غزل ولا غزلة الا يروي من شعر بشار، ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ، ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرة لسانه))[15] .

وقال بشار في الاعجاب في انشاد شعره :

وسبعةٍ من بني البطُالِ قَيِّمُهُم

رداؤهُ اليومَ فوْقَ الرِّجلِ يضطَرِبُ

جليتُ عن عَينه بالشعر أنشَدُهُ

حتى استجاب والصُّبحُ مُقْترِبُ

قال " النُّعيميُّ" لمَّا راحَ باطلُه

وافتضَّ خاتمَ مَا يجني به التَّعَبُ

ما أنت إن لم تكن أَيْماً فقد عَجِبَتْ

منك الرفاقُ ولي في فعلك العجبُ[16]

يقول بشار بن برد إنه أنشد شعره أمام جماعة من البطالة، فجلى عن عيونهم النوم، حتى اقترب الصبح حتى شبهه النعيمي بالحية (ما أنت إن لم تكن أَيماً)، وكأن التواء الحية وتثنيها وحركاتها المتتابعة قد أثيرت في ذهن النعيمي جراء تتبعه لطريقة إنشاده للشعر،وما يتبع ذلك من ارتفاع الصوت و انخفاضه أثناء الإنشاد، فطريقة الإنشاد

لها دلالات صوتية تضيف معاني للنص يفتقدها النص المدون لذلك فالقصائد المكتوبة تفقد قسما من معانيها لاختفاء طريقة الإنشاد.

فقد انتزع بشار بن برد صفة الإعجاب من المتلقي المتمثل (بالبطالة والتعمي) ذلك أن حدثت استجابة مباشرة لشعره، إذ يقول في الشطر الثاني من البيت الثاني (حتى استجاب والصبح مقترب)، ثم يقول في الشطر الأول من البيت الثالث (قال النعيمي لما زاح باطله) إذ إن الاستجابة بعثت على القول الذي يتضح في البيت الرابع (رد فعل المتلقي)، (فقد عجبت / منك الرفاق ولي في فعلك العجب)، فكرر لفظة العجب مرتين في البيت من شدة تأثره بطريقة الانشاد .وكذلك قوله في إنشاد الشعر :

فلمّا التقينا بالحديثِ تبسَمّت

اليَّ وقالت : بيْتُ أمْنٍ فَأَنشدِ

فعلَّلْتُها حتى تسَحَّرَ طائرٌ

وكادت تقضي سوْرَة المتهجِّدِ[17]

يقول: إنها تبسمت له، وطمأنته، ودعته الى إنشاد الشعر حتى انقضى الليل معجبًة به.

نستنتج مما تقدم أن بشاراً اختار من عناصر التجربة الشعرية، طريقة الإنشاد، ورد فعل المتلقي، وقد ورد في الخبر أن بشاراً كان ((ضخماً، عظيم الخَلْق والوجه، مجدوراً، طويلاً، جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر، وكان إذا أَرَادَ أن ينشد صفَّق بين يديه وتنحنح...، ثم ينشد فيأتي بالعجب))[18].

وقال بشار: في بيان الباعث النفسي المرافق لكتابة القصيدة في النسيب بعبدة، ويقال ان القصيدة لأبي هشام الباهلي:

من أبي هشام يا رجالُ قصيدة

تبكي لها الفتيانُ والفتاتُ

كُتبت بما جرت الدُّموع فَصُليت

أبداً على مَن قالها الصَّلواتُ

من داخل الشوق الدّخيل الى التي

فيها ترُوح لعينه العَبراتُ[19]

فارتبطت كتابة القصيدة بالدموع لان الجو العام للقصيدة هو الحزن حتى يمكن أن نقول أنّ هذه القصيدة فيها وحدة عضوية نحس بها حين نقرأ تكملة القصيدة و تبقى عاطفة الاعجاب بشعره التي تتمثل (فصليت .. على من قالها الصلوات).

قل للغواني ان قُتُلت من الهوى

فلكنَّ من عدْوَى دَمِي بَرْءَاتُ

سُقمي عُبيدةُ ان سقمْتُ وصحتي

ولها تطيب لنفسي الخلواتُ

ياعبدُ أقسمُ بالذي أنا عبدُهُ

وله المَقامُ وما حولها عرفاتُ

لا اصطفي أبداً سواكِ خليلةً

فثقي بذلك والكرامُ ثِقاتُ

ولو أنني في التُرب ثم دعوتني

لبيتُ صَوْتكِ والعظامُ رُفاتُ

فإذا ذكرتُكِ يا عُبيدَ تقطعت

نفسي عليك وعادني حَسَراتُ[20]

أما عندما يكون موضوع القصيدة الغزل وباعث القصيدة هو الإحساس بالجمال وذكر مفاتن المرأة فالكلمات تطاوع الشاعر ولا يجد مشقة في كتابة القصيدة.

يقول بشار بن برد :

وأغنَّ يَحْفلُ صفْـــــراً وكأنّـــهُ جَمْـــرٌ وَقـــودُ[21]

القرْطُ في مَهْلُوكـــــةٍ مَجْراهُ من جبل بعيـــــدُ [22]

خَصْرٌ لَطيفٌ كَشْحـــهُ مَجْرَى الوِشاحِ لها خَضيـدُ [23]

تلك التي لذَّ اشبـــــا بُ بها وطَاوَعَني القَصِيـــدُ [24] [25]

فموضع الشاهد في البيت الأخير إذ يقول (وطاوعني القصيد) ويختار بشار بن برد ان يصف مهارته في صياغة القول في غرض المدح التي عدها عبد القاهر الجرجاني محور الفضيلة والمزية في الكلام[26]، وللخلفاء أثر كبير في تطوير الشعر لا سيما قصائد المدح

بسبب الجوائز التي كانت تمنح للشعراء جعل الشاعر يبذل جهدا كبيرا في تجويدها لينال رضا الخليفة ويقول في ذلك بشار:

ما كان منّي لكَ غيرُ الوُدِّ ثَّم ثَناءٌ مِثلُ ريح الورْدِ [27]

نَسَجْتُهُ في المحكمات النّدَ فَالْبَسْ طِرازي غيْرَ مُسْتبدِّ [28] [29]

إذا علمنا أن القصيدة تقع في اثنين وثمانين بيتا، من البيت الأول الى السابع عشر في الغزل، ومن البيت الثامن عشر الى الرابع والعشرين في الحكمة، ومن البيت الخامس والعشرين الى الحادي والثلاثين في وصف الصحراء، ومن البيت الثاني والثلاثين الى البيت الثالث والخمسين في وصف الناقة، ومن البيت الرابع والخمسين الى البيت الثاني والثمانين في المدح. فالقصيدة تتكون من عدة موضوعات من القصائد الطوال محكمة البناء. قال ابن المعتز: ((كان بشار أستاذ أهل عصره من الشعراء غير مدافع، يجتمعون إليه وينشدونه، و يرضون بحكمه))[30]، وقال: ((كان بشار يُعدَّ من الخطباء والبلغاء، ولا اعرف أحدا من أهل العلم والفهم دفع فضله، ولا رغب عن شعره، وكان شعره أنقى من الراحة، وأصفى من الزجاجة، وأسلس على اللسان من الماء العذب))[31]، ومن يقرأ ديوان بشار بن برد يحسُّ أن بشارا صادق في وصف قصائده بالمحكمة النسج.

وقال بشار بن برد في وصف الغموض في شعره :

قلتُ شِعْرا ليس يُدْرى أَمْديـــحٌ أم هِجـــا [32]

وقال في الاعجاب بنعت شعره أو وصفه:

عَجِبَتْ فَطْمَةٌ من نَعْتي لها هل يُجِيدُ النَّعتَ مكفوف البَصَرْ[33]

وكان بشار ((يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره، فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله، فيقال له يوما، ... من أين لك هذا التشبيه ولم تر الدنيا قط؟ فقال: إن عدم النظر يقوي ذكاء القلب ، ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء، فيتوفّر حِسُّه وتذكو قريحته))[34].

نستنتج مما تقدم ان بشارا ذكر من عناصر تجربته الشعرية: طريقة الإنشاد و الإعجاب بها، والباعث النفسي لكتابة القصيدة، ومطاوعة الشعر له في غرض الغزل، و وصف مهارته في صياغة القول في غرض المدح، والغموض في شعره و إجادة الوصف.

وصف السيد الحميري تجربته الشعرية في شعره :

عاش الشاعر الحميري بين سنتي (105ه_173ه) ونشأ في البصرة ثم غادرها الى الكوفة، وكان يلقب بالسيد لأنه من ولد السيدة فاطمة (عليها السلام)،[35] وروي أن الأمام الصادق (ع) لقيه فقال له :((سمتك أمك سيدا، ووفقت في ذلك وأنت سيد الشعراء))[36]، ثم أنشد السيد في ذلك يقول :

ولقد عجِبْتُ لِقائلٍ لي مرّةً علَّامةٍ فهمٍ من الفقهاء
بسمَّاك قومُك سيداً صدقوا به أنت الموفَّقُ سيد الشُّعراء
ما أنتَ حين تخُصُّ أل محمَّدٍ بالمدحِ منك وشاعرٌ بسواءِ[37]

وقال بشار بن برد فيه :((لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا))[38] ومذهبه هو حب آل البيت (عليهم السلام) و مدحهم .

تمحورت التجربة الشعرية عند السيد الحميري حول حب آل البيت ومدحهم ورفض المتلقي لهذا الحب، واصرار الشاعر على الجهر بحبهم والوفاء لهم مثل قوله :

فيا لائمي في حبِّهم كُفَّ إنني
بحبِّ أمير المؤمنين لمولَعُ
ولا دِنْتُ إلّا حبَّ آل محمدٍ
ولا شيءٌ منه في القيامةِ أنفعُ
أذا العدلُ والتوحيدُ كانا وحبه
بقلبي فإني العابدُ المتطوِّعُ
أنا السيّدُ القوال فيهم مدائحا
تمرُّ بقلبِ الناصبين فتصدَعُ [39]

فيأخذ المتلقي دور(اللائم)في البيت الأول ويوظف له الشاعر فعل الأمر (كف)،فلا يكون هناك مجال لنمو الصراع بينه وبين خصمه، بل أن قوله،(انني بحب أمير المؤمنين لمولع)جملة تأكيدية تحكم بنهاية الصراع عنده،وهي جملة اسمية تدل على ثبات هذا الحب عنده .

هذه القصيدة تقع في خمسين بيتا ، الموضوع الأول هو طيف الخيال ويقع في تسعة أبيات ومضمون النص يدل على الإحساس بالحب و القرب، ثم ينتقل بعدها الى موضوع

النسيب ويقع في أربعة أبيات يأسف فيها لرحيل الحبيبة،و منها ينتقل الى الغرض وهو حب آل محمد الذي لا يرحل، ويقع مدحهم مابين البيت (14- 46)،ثم يختم النص بموضوع اللائم ثم ينتقل فيه الى الفخر الذي يتضمن فخر الشاعر الحميري بمدحه لآل البيت عليهم السلام، وكأنه يعيد الموضوع نفسه الى أن يختم النص بقوله :

أنا السيّدُ القوال فيهم مدائحا

تمرُّ بقلبٍ الناصبين فتصدَعُ

حقا يعد هذا البيت من حسن الخاتمة لما جمع فيه من موضوعات المديح و الفخر و الهجاء في بيت واحد، فالقصيدة قائمة على التنامي في المعنى فذكر أولا الخيال الراحل وهو الوهم،ثم ينتقل الى الحقيقة التي تتشخص بالحبيب الراحل، ثم ينتقل الى الحب الذي لا يرحل، و هو حبّ محمد ﷺ، ثم يختم النص ببيت واحد جمع فيه المدح و الفخر والهجاء، فالفخر (أنا السيد القوال) وهو يتضمن حبّ الذات و الزهو بها وهو أعلى درجات الحب، ثم حب الغير (فيهم مدائحا) وهي الدرجة الثانية في الحب،ثم الانتقال الى النيل من العدو (تمر بقلب الناصبين فتصدع) فالبيت الأخير الذي هو خاتمة عبارة عن تدرج في العاطفة ويدل على الحركة التي تتوجه نحو خصومه فتضعفهم .

(القوال) صيغة مبالغة موقعها الأعرابي الصفة فتعمل عمل الفعل فتنصب مفعولا به (مدائحا) والقوال هو كثير القول مما يدل على تحرك الشفتين والفكر الذي يشحذ منه القول،ثم قوله (تمر بقلب الناصبين فتصدع) (تمر) فعل مضارع بمعنى تدخل الى قلوب الأعداء، و قد أحسن استعمال الفعل (تصدع) لأنها تدل على القطع والشق والتفريق[40] فيريد أن يحدث تغيرا في موقف اللائمين .

وتظهر ظاهرة الرفض مرة أخرى عند السيد الحميري في رفض قوم لسماع شعره حين ينشدهم قائلا :

قد ضيّعَ اللهُ ما جمعتُ من أدبٍ

بين الحميرِ وبين الشاء و البقرِ

لا يسمعون الى قولٍ أجيءُ به

و كيف تستمعُ الأنعامُ للبشر

أقول ما سكتوا إنسٌ فإن نطقوا

قلتُ الضفادعُ بين الماء و الشجر[41]

لايخفى حس الألم و الانفعال في تجربة الشاعرمع هؤلاء الناس ذلك أن الشاعر من قديم كان إذا أراد ان يقيّم شعره ذهب إلى الأسواق الأدبية لينشد النقاد هذا الشعر، و هم بدورهم بعد سماعهم شعر الشاعر يحكمون له او عليه، و لأن الشاعر كان صادقا في التعبير عما أحس هو به، و لأن الشعر فن قولي يسمعه الناس نقادا و غير نقاد، فيحكم كل بمقاييسه على ما سمعه، و ما رأى ؛ لذلك يعاني الشاعر من رفض هؤلاء سماع شعره، فنجاح شعره مرتبط بحسن سماع المتلقي له .

فارتبط وصف الشاعر لشعره في هذه النصوص بالمعاناة النفسية عند الشاعر بسبب ظاهرة الرفض التي يحيها، وقال السيد الحميري في حسن صياغة القول و الكتابة :

فقلت دعيني لن أحبِّرَ مِدحةً

لغيرهم ما حج لله اركب[42]

وجاء في معنى (أحبّر) في لسان العرب : ((و كل ما حَسُنَ من خطّ أو كلام أو شعر أو غير ذلك فقد حُبِر حَبْرا او حُبِّرَ، وكان يقال لطفيل الغنوي في الجاهلية مَحبِّر لتحسينه الشعر... و في حديث أبي موسى : لو علمت انك تسمع لقراءتي لحبَّرتُها لك تحبيرا، يريد حسن الصوت))[43] .

وقال في خلو شعره من اللحن و الاقواء :

و إنَّ لساني مقولٌ لا يخونُني

وإنِّي لمِا آتي من الأمرِ مُتقِنُ

أحوكُ و لا أقوي و لستُ بلاحنٍ

وكم قائلٍ للشِّعرِ يُقوي و يلحَنُ [44]

نستنتج مما تقدم ان السيد الحميري ذكر تجربتين شعريتين، الأولى تتمثل في فشل استجابة المتلقي و الثانية تتمثل في نجاحه في صياغة القول ،إذا كان السيد الحميري ذكر فشله في استجابة المتلقي في نص سابق،فهنا يذكر نجاحه في صياغته الأبيات .

وصف ابراهيم بن هرمة تجربته الشعرية في شعره :

ولد إبراهيم بن هرمة سنة (80) هجرية فهو قد عاش في أواخر الدولة الأموية و خضرم في الدولة العباسية الى عصر الرشيد وتوفي سنة 176 ه مدح الخلفاء الأمويين و العباسيين و مدح الطالبيين ، وغلب على شعره الطبع و الجزالة والسهولة ومال الى التصنع و التأنق في قسم من شعره[45] .

قال فيه أبو الفرج الأصفهاني بأنه ((جواد فارس شاعر، ولكنه سيئ السيرة، رديء المذهب، قتالا، مستظهرا ببطانة السوء و من يرمى بالزندقة))[46] .

وقال في وصف تجربته الشعرية يذكر قوما سرقوا شعره واستعاروا معانيه :

أغدو تلاداً من الأشعارِ أُصْلحُها
صلاحَ ذي الحَزمِ للحاجات و الرتَل [47]
أحذو قصائد للرَّاوينَ باقية
كأنّها بينهم مُوشيةُ الحُلل
إمّا نسيبا و إمّا مدْحَ ذي فخرٍ
يبقى، و إمّا ادّخارا من ذوي خَطَلِ[48]
حتَّى إذا امتلأت أسماعُهُم عَجَبا
واستوقِفت في قلوبِ القوم كالعَسلِ
أهووا إليها لغوصٍ في مسارِحَها
لم يقرعوا أمَّهاتِ الشَّولِ للحَبَلِ [49]
فاستطلعوا عُقُلا لا يعقلون به
وأوضعوا قَعَدَ المجموع في الهَمَل [50]
وما أشاركُهم في طَرْق فحلِهُمُ
ولا بسهلٍ أداعيهم و لا جَبَلِ
و ما إن أزالُ وسُمي فاعرِفُهُ
في ذودِ آخرَ موسُوما على قبُلِ[51]
و ما وسمْتُ قلاصا و هي راتعةً
حتّى أتت رغمَ الأقياد و العُقلِ [52]

تعد هذه القصيدة الوحيدة في القرن الثاني الهجري موضوعها الشعر و هي أطول نص جردناه يقع في تسعة أبيات مترابطة مبنية على التدرج في المعنى حتى يمكن أن نقول إنها تحتوي على وحدة عضوية.

فيتناول في البيت الأول إصلاحه للأبيات الشعرية إصلاح الرجل الحازم للشيء النفيس الطيب، وهي تكشف عن الجهد الذي يبذله الشاعر في تهذيب الأبيات و هي المرحلة التي تعقب كتابة القصيدة .

ثم ينتقل في البيت الثاني الى المرحلة الثانية وهي اعطاء قصائده للرواة ، و يذكر في البيت الثالث أنها متعددة الموضوعات ، نسيب وفخر ومديح و يصل في البيت الرابع الى الذروة في تصوير جمال أبياته :

حتّى إذا امتلأت أسماعهم عَجبا

و استوقفت في قلوب القومِ كالعسلِ

وهذه قمة نجاح الشاعر ان يعجب الرواة بقصائده حتى يشبهها بالعسل .

ويتحدث في المرحلة الرابعة عن طريقة تعامل الرواة مع قصائده و هي تستغرق أربعة أبيات ؛ إذ سرقوا قصائده إلا أنها لم تكن سرقة اعتيادية في نسبة القصائد إليهم ؛ وإنما جعلها في بناء استعاري فني جميل (أهووا إليها لغوص في مسارحها ...) والغوص النزول في الماء،والمسرح المكان الواسع فقوله (غوص في مسارحها) [53] استعارة للتعمق في المعنى واستخراج ما في القصيدة من دلالة، وما فيها من عمق وسعة ثم يقول (لم يقرعوا أمهات الشول للحبل) والشول جمع شائلة وهي الإبل التي جف لبنها وهذه استعارة للقصائد غير الجيدة، فهي مثل الإبل التي جف لبنها .

ويظهرفي البيت السابع انفعال الشاعر الشديد المتمثل بالرفض والابتعادعن هؤلاء الرواة، ووظف لبيان هذه الحدة في السلوك (ما) النافية في الشطر الاول و(لا) النافية في الشطر الثاني :

و ما أشاركُهم في طرق فحلِهم

و لا بسهلٍ أراعيهم و لا جبلِ

ويختم النص في المرحلة الخامسة على معرفة إن هذه القصائد له، لما فيها من علامات و سمات تعود اليه على الرغم من القيود التي يضعها الرواة ، فيقول :

ما إن أزالُ وسمي فأعرِفُه

من ذود آخر موسوم على قبل

و ما وسمتُ قلاصاً و هي راتِعةٌ

حتىّ أتتْ رغم الأقياد و العقل

وإذا كان استعار الشول و(هي الإبل التي جف لبنها) للقصائد غير الجيدة فهنا يستعير لفظة القلاص للتعبير عن قصائده الجيدة، و هي الإبل الطويلة القوائم و يخبرنا بأنها راتعة، والرتع هو الأكل والشرب رغدا بالريف، او الأكل الشره للدلالة على العناصر الفنية التي تحويها قصائده .

ويستخدم الشاعر(الوسم) وهو في الأصل يستعمل للإبل لتميزها عن غيرها فيستعيرها لقصائده استعارة مكنية، فحذف الناقة وذكر أحد أجزائها او لوازمها وهو الوسم ويريد بذلك أن قصائده ستعرف أنها له على الرغم الاقياد والعقل . ففي قصيدته هذه حس بدوي واضح غير الحضارة التي يحياها في العصر العباسي .

فالتدرج بالمعنى هو اصلاح القصائد ثم اعطاؤها الرواة و اعجاب الرواة بها، فسرقتهم لها، ثم يعقب ذلك قراره مقاطعة الرواة، ثم يقول إن قصائده ستعرف و تعود إليه .

وإذا كان قد اتهم الرواة بالسرقة فهو ينفيها عن نفسه ؛ إذ يقول :

و لم أتَّحلِ الأشعارَ فيها و لم تُعْجزني المِدَحُ الجيادُ[54]

وصف أبي نواس تجربته الشعرية في شعره :

ولد أبو نواس سنة 145هـ وتوفي سنة 199 هـ، وصفه أبو الفرج فقال :" كان أبو نواس حسن الوجه رقيق اللون، أبيض ، حلو الشمائل ، حسن الجسم، ومن صفاته رقة الطبع، و حضور النكتة، و سرعة البديهة .. جريء في طلب اللذات، متكلما،جدلا ، راوية ، فحلا و تتضمن قصائده دعوة الى التجديد، ومع حاجته الملحة طالما كان حريصا على حفظ ماء الوجه، فهو لا يلح في السؤال ، و لا ينزلق للأغنياء، بل كثيرا ما كان ينال منهم و يرميهم بقوارص الكلم "[55]

قال في وصف تجربته الشعرية :

فما زلْتُ بالأشعار في كل مشهدٍ أُليْنُها ، و الشعرُ من عُقدِ السّحْرِ[56]

استعمل أبو نواس لفظة (ألينها) لان شعره عموما يخلو من التكلف و الصنعة . أما القصيدة التي ورد فيها هذا البيت فموضوعها الغزل وقائمة على الحوار بينه وبين حبيبته وتخلو من التشبيه و الاستعارة إلا بيت واحد فيه كناية وظفها للغزل الجريء، وقوله (والشعر من عقد السحر) يشير إلى التأثير النفسي للشعر وقدرته على جذب القلوب وكأنه سحر وقد مر في الأبيات السابقة لإبراهيم بن هرمة انه استخدم لفظة (أصلحها) في قوله :

أغدو تلادا من الإشعار أصلحها

صلاح ذي الحزم للحاجات و الرتل

وذلك لان قصيدته مبنية على التشبيه و التكلف في الاستعارة وكأن موضوع قصيدته كلها في وصف شعره وطبعه بطابع بدوي في حين أن كلمة (ألينها) ضد الخشونة وهو الميل الى الأسلوب الواضح ،فالكلمتان (ألينها، أصلحها) تدلان على البعد الفني في شعر كل منهما .

ولأبي نواس نص شعري يصور البعد الموضوعي للشعر فيقول :

أما والله لو تسم عُ ما قلتُ من الشِّعرِ
لآيست من إصلاحي يقيناً آخرَ العُمْرِ[57]

وقال أبو نواس في حُبِّ الشعر :

إذا ابتهلْتُ سألتُ اللهَ رحمتَه كنّيتُ عنك و ما يعدوك إجهاري
أحببتُ من شِعر بشارَ لحبِّكمُ بيتا شُغِفتُ به من شعرِ بشّار
يا رحمةَ اللهِ حلّي في منازلِنا وجاورينا فدتكِ النَّفسُ من جارِ[58]

وقد ارتبط وصف الشعر عند أبي نواس بمدلول الحسن و القبح في مفارقة لطيفة وهي حسن الشاعر وقبحه وكيف أثرت في العلاقة بين الشاعر و الخمرة و الشعر من جهة وفي العلاقة بين الشاعر و المرأة الحبيبة والشعر من جهة ثانية و العلاقة بين الشاعر و وصف الغلمان في شعره من جهة ثالثة ، قال أبو نواس :

شيخُ لذاتٍ، نقيٌّ عِرضُهُ

تحُسنُ الأشعارُ فيه و المدَحُ

لا تراهُ الدَّهرَ إلا ثمِلاً

بين إبريقٍ وزقٍ وقدَحِ [59]

يقصد الشاعر بلفظة (الشيخ) نفسه ووصفه بأنه (نقي عرضه) وهي صفة حسنة على الرغم من كونه (شيخ لذات و ثمل) لذلك تحسن الأشعار فيه، فالعلاقة بين الشاعر و الخمرة و الشعر علاقة ايجابية . وقال في الحالة الثانية :

وقُصْريةٍ أبْصرتُها، فهويتُها

هوى عُروة العذري والعاشق النجدي[60]

فلما تمادى هجْرُها، قلتُ وأصلّي

فقالت : بهذا الوجه ترجو الهوى عندي ؟

فقلتُ لها : لو كان في السوق أوجهٌ

تُباع بنقدٍ حاضرٍ، وسوى نَقدِ

لغيرتُ وجهي، واشتريتُ مكانه

لعلّك ان تهوي وصالي من بَعدِ

وان كنتُ ذا قُبحٍ، فإنّي شاعِرٌ

فقالتْ ولو أصبحتَ نابغةَ الجعْدي [61]

يعطي الشاعر لنفسه صفة القبح و يرى أن مهنته شاعر تخفف من هذا القبح، الا ان المرأة الحبيبة لا تستجيب، فقبح الشاعر أدى إلى وجود علاقة سلبية بين مهنة الشعر والشاعر والمرأة الحبيبة متمثلة برفض المرأة له . والنابغة الجعدي شاعر اسلامي أعجب الرسول بشعره ومنطقه حتى قال له : (لا يفضض الله فاك) [62] . لذلك ذكرته من دون غيره من الشعراء .

وقال في الحالة الثالثة :

يا واصفَ الغلمان في شِعره أنت وربي منهم الأولُ

وصفت خمسين، فميزتَهم وأنتَ أنتَ الظَّبيةُ المغزِلُ

عنّا ودعهم عنك أو وصْفهم أنت وربّي منهم أجْملُ [63]

يخاطب الشاعر نفسه في قوله : (يا واصف الغلمان في شعره) و يكون تقديره لذاته يسمو و يعلو عن وصف الغلمان بالجمال، فهو الأول والأجمل ، فيقرر ترك موضوع وصف الغلمان في الشعر متمثلا بقوله في البيت الثالث (ودعهم عنك او وصفهم) فجمال

الشاعر أدى الى علاقة بعد بينه وبين موضوع و صف الغلمان في الشعر،نستنتج مما تقدم أن حسن الشاعر و قبحه قد أثر في شعره وتحكم في موضوعاته الشعرية .

التجربة الشعرية عند الشافعي

الشافعي هو عالم قرشي ويلتقي نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف جد النبي ونسب أمه يعود الى الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ، وعاش بين سنتي (150 204هـ)، وحمل الى مكة وعمره سنتين ،وحفظ القران الكريم وهو ابن سبع سنين ،و خرج إلى البادية لتعلم اللغة العربية الفصيحة وبلاغتها ،واختار هذيلا وهي من أفصح القبائل وعاش بينهم سبع عشرة سنة حتى استقامت لغته و طاوعته كما طاوعه الشعر و الأدب ،ورجع الى مكة ينشد الأشعار وأخبار العرب وأيامهم و أنسابهم الى ان نصحه أحد أبناء عمه بتعلم الفقه وان يقصد مالك بن أنس فوقع ذلك في قلبه واتجه اليه حتى أصبح عالما بالفقه وأصبحت نظرته الى الشعر دون ذلك [64] ، فيقول:

لولا الشِّعرُ بالعلماء يُزري لكنتُ اليومَ أشعرَ من لبيدِ[65]

ومع ذلك فله أبيات يفتخر بها بمقدرته الشعرية ربما قالها قبل أن يكون عالما فقيها :

عندي يواقيتُ القريضِ و درُّهُ وعليَّ أكليلُ الكلامِ و تاجُهُ
تربي على روضِ الرُّبا أزهارُهُ ويرفُّ في نادي النّدى ديباجُهُ
والشاعرُ المنطيقُ أسودُ سالخٌ والشِّعرُ منه لعابُهُ و مُجَاجُهُ
وعداوةُ الشُّعراءِ داءٌ مُعضِلٌ ولقد يهونُ على الكريمِ علاجُهُ[66]

فالشافعي يصف الشعر بصورة حضرية ، فيستعير الياقوت الحجر الكريم و التاج المزين المزخرف ليعبر عن جمال أبياته و يجعل جمالها يفوق جمال الرياض و الإزهار، و يوظف الفعل (يرف) الذي يدل على الحركة و العلو يريد بذلك شهرة شعره و انتشاره في مجالس الكرماء و هم أكثر من يتوجه بالشعر اليهم، و يستعير في البيت الثالث(أسود سالخ) و معناها تميز الثعبان بالحركة و التموج مشيرا بذلك بالتنوع في شعره و الجدة فيه، ثم يتطرق الى العداوة بين الشعراء ، فيخفف من حدتها لتناسِب الجمال و الرقة التي شملت أبياته فيجعلها هينة العلاج على الكريم، فحين نقرأ الشطر الاول (و عداوة الشعراء داء معضل) يخطر في ذهننا الهجاء، فنفاجأ حين يقول (و لقد

يهونُ على الكريمِ علاجَه) وكإن البيت قائم على عنصر المفاجأة، وربما يعود ذلك الى تدنِيه أكثر من رغبته في الفن .

وله أبيات تصف تجربته في الكتابة، وهي في علومه عامة، و ذلك شيء طبيعي؛ إذ إنه ليس شاعرا فقط فيقول :

سهَري لتنقيحِ العلومِ ألذُّ لـي من وْصلِ غانيةٍ و طيبِ عنـاقِ
و صريرُ أقلامي على صَفَحاتِها أحلى من الدوكاءِ و العشـاق
و ألذُّ من نقْرِ الفتاةِ لدفِّهـا نقري لأُلقي الرَّملَ عن أوراقـي
و تمايلي طَرَبا لحلِّ عويصةٍ في الدَّرس أشهى من مُدامةِ ساق[67]

فترتبط تجربته بالكتابة على الشعور باللذة ، في حين ارتبطت تجربة أبـي دلامـة بالكتابة بالضرب لفشل محاولات التعلم عند فتاته .

ويشخص الشافعي في تجربته الشعرية مايعاني من سوء تقدير المجتمع له . وعـدم التفريق بين الأديب و الجاهل، و الفرق بينهما كالفرق بين الذهب و النحاس، لكن يبقـى الأديب كالعود الذي يتطيب الناس برائحته، فيجسد هذا المعنى في شعره قائلا :

أصبحتُ مُطَّرَحاً في مَعْشرٍ جَهلوا حقَّ الأديبِ فبَاعوا الرأسَ بالذَّنبِ
والنَّاسُ يجمعُهم شَملٌ ، و بينهم في العقلِ فرقٌ و في الآداب و الحَسبِ
كَمثلِ ما الذَّهبُ الإبريزُ يَشْركُهُ في لونهِ الصُّفْرُ و التفضيلُ للذهبِ
والعودُ لو لم تَطِبْ منه روائحهُ لم يَفْرق النَّاسُ بين العودِ و الحطَب [68]

نستنتج مما تقدم أن وصف الشافعي لتجربته الشعرية يتسم بالسـمة الأخلاقيـة و لا غرابة في ذلك و العالم الفقيه الحافظ، فشعره ذو بعد خاص يختلف عن شعر الشـعراء ، فيرى أن منزلة الشعر دون منزل العالم، وممكن معالجة العداوة بين الشعراء ،و هو مثل كل مبدع يعاني من الغربة من مجتمع لم يقدر علمه و أدبه و اتسم وصفه لشعره بطابع حضاري بعيد عن الطابع البدوي الذي يشبه الشعر بالناقة والأوابد وما إلى ذلك .

وصف مسلم بن الوليد تجربته الشعرية في شعره :

ولد مسلم بن الوليد في الكوفة حوالي منتصـف القـرن الثـاني للهجـرة و تـوفي (208)ه،ونشأ يستمع الى الشعر و يرويه وقد تعلق به لاسيما شعرالفحول القدماء امـرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى و عمر بن أبي ربيعة وجرير والأخطل، ولم يُذكر فـي

أخباره انه يميل إلى المجون و الزندقة و التحلل من التدين الذي كان معروف في عصره، و تحولت علاقته مع أبي نواس إلى تنافر بسبب تأثر مسلم بأخلاق البدو وعاداتهم[69]، فكان فصيحا بليغا متعلقا بعمود الشعر وقد نقل المبرد : ((إن مسلما كان يمدح مَن هو دون الخليفة ولا يطمع فيه، فكان يقول أرى نفسي تذوب حسرات من أنه يحوى جوائز الخلفاء من لا يوازيني في آداب ولا يماثلني في نسب، ولا يصلح الا أن يكون شعره خادما لشعري))[70] ، وذكر رواة الأخبار عن مسلم بن الوليد إنه كان متمكنا من الفهم و التجربة و التمييز و المعرفة[71]. ولم يكن شاعرا سياسيا على كثرة الخلافات في عصره،ولم ينتصر لحكم من دون حكم، بل كان يشيد بممدوحه و فعاله، فيذكر من كان له أياد على الخلافة و يصف الواقع[72] .

ومدح مسلم يزيد بن مزيد، و تذكر الأخبار أن الرشيد كان يستحث يزيد بن مزيد على اعطاء مسلم والإغداق عليه و منح الخليفة يزيد بن مزيد مائتي ألف درهم تعويضا له. وجاء في الأغاني في ترجمة أبي نواس " لقى أبو نواس مسلم بن الوليد فسلم عليه وقال له يا مسلم ذهبت والله بالشعر فقال له مسلم أما أنت القائل: إجارة بيتينا أبوك غيور فلا والله لقد غلبت أهل زمانك "[73] ، قال الآمدي في الموازنة " إن أبا تمام ينحط عن شعر مسلم لسلامة شعر مسلم وحسن سيله و صحة معانيه "[74].

قال مسلم بن الوليد يمدح زيد بن مسلم يدل على البديهة في قول الشعر ، ونافيا الأفحام عن نفسه :

وقافية أحييتُ في أخواتِها
وفيها نجومُ اللّيلِ والنّاس نُوّمُ
بعثتُ لها قلبا ذكيا و فِطنةً
وقولَ لسانٍ صادقٍ ليسَ يُفْحَمُ [75]
فلما أتتْني مستقيما قريضُها
مُثقَّفة البنيانِ و الأُسُّ مُحْكَمُ
حبوتُ بها زيْدا فزيّنْت ذكره
كما زيَّنَ السِّلْكَ الجُمانُ المنظَّمُ [76]

وقول مسلم (فزينتُ ذكره ... كما زيّن السِّلكَ الجمانُ المنظم) والتزيين في الشعر يعني توليد المعاني وابتداع الألفاظ وتوظيف الاستعارات والتشابيه[77] ، وكلمة (ذكره) تعني شهرته بين الناس و قد وجدنا في شعرمسلم بن الوليد و وصفه لتجربته الشعرية ما لم نجده عند من سبقه من الشعراء :

1 – السهر بالليل في البيت الاول .

2– القلب الذكي في البيت الثاني .

3– صدق القول في البيت الثاني .

4– مطاوعة الشعر في البيت الثالث .

5– محكمة البناء في البيت الثالث .

6– التأنق والتفنن في القول في البيت الرابع .

وقوله في الشطر الثاني من البيت الرابع (كما زين السلك الجمان المنظم) يشير في طياته الى أن الزخرفة في القول تؤثر في نفوس الناس، كما يؤثر جمال الحمان المنظم في سلك في نفوس الناس لإتقان صنعه، وهذه العناصر التي ذكرها تعد من العناصر الأساسية التي تحدد مفهوم الشعر بأنه محكم البناء وصدق القول وقوة شهرته وتأثره في النفوس عند حازم القرطاجني [78].

وصف أبي العتاهية تجربته الشعرية في شعره

ولد أبو العتاهية سنة (130هـ) وأبو العتاهية كنية غلبت عليه ؛ إذ كان في شبابه يحب الشهرة والمجون والتعته[79] ويظهر من صفته انه كان إلى الأنوثة أميل منه إلى الرجولة[80] وقد روي ((انه كان حلو الإنشاد، مليح الحركات، شديد الطرب ، اقدر الناس على الكلام ، حتى انه كان يتكلم بالشعر في جميع حالاته ... لطيف المعاني ، سهل الألفاظ .. قليل التكلف، إلا انه مع ذلك كثير الساقط المرذول)) [81]اتصل بالخلفاء المهدي والهادي والرشيد وتصوف وترك الغزل والهجاء حتى توفي[82]، وقيل انه عاش إلى أيام المأمون ومدحه ببعض الأبيات ونال بره ،توفي سنه (210 هـ) [83] .

ومما أثر عنه (قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر؟ قال :ما أردته قط إلا مُثل لي، فأقول ما أريد، وأترك ما لا أريد)[84] على انه كانت له أوزان لا تدخل في العروض، ولما سئل : هل عرف العروض، أجاب: أنا أكبر من العروض.. وخروجه على

العروض يدل على انه كان يميل الى التجدد الشعري في عصـــره، إن لـــم يكـــن احـــد مؤسسيه[85].

قال أبو العتاهية (ت210هـــ) يصف تجربته الشعرية في إحدى قصائده ، و قد كتب في مقدمة القصيدة مناسبتها ((كان الهادي قد أمر المعلى الخازن ان يعطي أبا العتاهية عشرة آلاف درهم لأبيات مدحه بها. قال أبو العتاهية : فأتيت المعلى فأبى أن يعطيهـــا ، وذلك ان الهادي امتحنني في شيء من الشعر ، وكان مهيبا ، فكنت أخافه فلـــم يطعنـــي طبعي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجت فلما منعنيه المعلى صرت الى أبي الوليد أحمد بن عقال))86 وكان يجالس الهادي، فقلت له :

ابلغْ سَلمت ، أبا الوَليد، سلامي

عني امير المؤمنين إمامي

إذا فرغتَ منَ السلام ، فقلْ له :

قد كان ما شاهدتَ من إفحامي

إذا حَصِرْتُ فليس ذلك بمُبطل

ما قد مضى من حِرْمَتي وذمامي

ولطالما وفَدَتْ إليك مدائحي

مَخطوطَةً ، فليأتِ كلُّ مَلامِ

أيام لي لَسَنٌ ورِقةُ جدّةٍ

والمرءُ قد يبلى مع الأيام 87

إن أبا العتاهية كان يقول الشعر في جميع حالاته، وما تمثل له معنى إلا قال فيه شعرا[88]، ولكن حدث انفصال بين الشاعر وقصيدته في لحظة غير اعتيادية يقف الشاعر فيها بـــين يدي الخليفة ، واذا هيبة الخليفة تمنعه من قول الشعر، فيكتب قصيدة أخرى توضح سبب اعجازه، ويرجعه الى تأثير الزمن، أما سبب اعجازه، فيتضح بقوله :

وإذا فرغت من السلام ، فقل له

قد كان ما شاهدت من إفحامي

والإفحام ((هو المنع من قول الشعر)) 89 ، وهو منع مطلق .

أما في البيت الثالث، فينفي هذا المنع المطلق ويحدده بالزمن المستقبل حين يقول :

وإذا حصرتُ فليس ذاك بمبطلٍ

ما قد مضى من حرمتي وذمامي

فتحديد الزمن بالمستقبل يتضح في قوله (وإذا حصرت) لان (إذا الشرطية) إذا دخلت على الفعل الماضي صرفته للاستقبال 90 ، وهي هنا بمعنى الآن اقرب منها للاستقبال أي إذا عجزت الآن عن قول الشعر.

أما نفي المنع المطلق، فيتبين في قوله (فليس ذاك بمبطلٍ) قول الشعر دائما . وإنما منع مؤقت، ثم ينتقل الى بيان الجانب الايجابي في تجربته الشعرية في البيت الرابع :

ولطالما وفدت إليك مدائحي مخطوطةً فليأتِ كلَّ مَلام

وواضح الاتساع في المعنى باستخدام الفعل (طالما) الذي يدل على الامتداد بالزمن ، الى انه على طول الزمن كان متمكنا في شعره ، وأظن ان قوله (فليأت كل ملام) فيه نوع من التحدي أي لا يستطيعون أن يلومونه على الإفحام بعد إدلاء حجته في بيان مقدرته الشعرية في تلك المدائح المخطوطة .

أما تأثير الزمن فيه، فيتضح في البيت الخامس :

أيام لي لَسنٌ ورِقةُ جدة والمرءُ قد يبلى مع الأيام

استخدم في الشطر الأول جملة اسمية تدل على الإثبات لأنه يفصل في ايجابية تجربته الشعرية أيام كان ذا بيان وفصاحة، أما في الشطر الثاني فاستخدم الجملة الفعلية التي تدل على التغير، لأنه بين الجانب السلبي من تجربته الشعرية ، وهو تأثير الزمن فيه وكأنه هو السبب في عجزه عن قول الشعر (والمرء قد يبلى مع الأيام) .

ونلاحظ ان أبيات أبي العتاهية تخلو من التشبيه والاستعارة ، فهو يميل إلى الألفاظ الواضحة، ويرى أبو العتاهية ((ليس من ألفاظ خاصة بالشعر ، وان طبيعة التجربة هي التي تحدد شعرية اللغة))[9]1 .

وقد ربط أبو العتاهية موت الشعر بموت الشاعر البصري بكر بن النطاح بقوله :

مات ابنُ نطّاحٍ أبو وائلٍ بكرٌ و أمسى الشّعرُ قد ماتا[9]2

ويرى ان الشعر يخلد بعد موت الخطيب و الشاعر ، ونستشف ذلك من قوله :

من الناس ميت و هو حيٌّ بذكره ، وحيٌّ سليم، و هو في الناس ميتُ

فأمَّا الذي قد مات ، و الذكر ناشر، فميتٌ له دينٌ به الفضل يُنعتُ

وأمّا الذي يمشي، و قد مات ذكره، فأحمقُ أفنى دينهُ، وهوأمْوَتُ
وما زال من قومي خطيبٌ و شاعر و حاكمُ عدلٍ، فاصلٌ ، مُتثبّتُ
سأضرِبُ أمثالا لمَن كان عاقلا ، يَسيرُ بها مني رويٌّ مُتَثبِّتُ 93

الخاتمة

إن موضوع (وصف الشاعر لتجربته الشعرية في شعره في القرن الثاني الهجري) لم يأخذ حقه في الدراسة والتحليل ونريد بذلك أن الفرادة الذاتية للشاعر هو أن يصف تجربته الشعرية وإبداعه للشعر بنفسه ، فهو الذي يوضح متى يعسر قول الشعر على الشاعر؟ ومتى يطاوعه الشعر؟ متى يجد مشقة في الكتابة؟ ومتى يجد لذة فيها؟ وهل يؤثر جمال الشاعر وقبحه في موضوعات شعره ؟ ومتى يكون الإعجاب في الشعر؟ ومتى يعزف عن الشعر؟ ومتى يحب الشعر؟ ومتى يجد الأديب غربة في مجتمعه؟ ومتى يموت الشعر؟ ومتى يخلد الشعر؟

وقد أجاب على هذه الأسئلة الشعراء من وجهة نظرهم في شعرهم ، لا من وجهة نظر النقاد .

واختار بشار من عناصر التجربة الشعرية، طريقة الإنشاد ورد فعل المتلقي بالاعجاب بشعره وذكر أن الباعث النفسي لكتابة القصيدة هو الحزن، وإذ ارتبطت كتابة القصيدة عنده بنزول الدموع، والإعجاب بشخصه لدرجة انه يستحق أن تقام الصلوات عليه حين كتابة القصيدة . ويطاوعه الشعر ولا يجد مشقة في كتابة القصيدة حين يكون موضوع القصيدة الغزل، وجعل قصائده محكمة النسج تشبه الإبل الكثيرة وهووصف بدوي وتطرق إلى إعجاب حبيبته بنعوته ووصفه على الرغم من انه مكفوف البصر وافتخر بالغموض في شعره إلى درجة انه لا يُعرف انه مدح أم هجاء .

أما سيد الحميري فيحوز باللقب (سيد الشعراء) من الإمام الصادق عليه السلام ويعود هذا اللقب لمذهبه لا لمهارته الفنية ، وتمحورت تجربته الشعرية على معاناته من رفض المتلقي لسماع شعره بسبب تعصبه لمذهبه وهي معاناة صادقة لان نجاح الشعر مرتبط بحسن إصغاء المتلقي له لأنه فن قولي قائم على الإنشاد كما افتخر الحميري بحسن صياغة القول .

وتعرض الشاعرإبراهيم بن هرمة الى السّرقة الشعرية وأشارإلى مرحلة تهذيب الشعر، وحسن صياغة القول وأثر الرواة في سرقة الشعر، وكيف أن جودةا لقصيدة قائمة على تعدد الموضوعات، وتعرض إلى إعجاب المتلقي لشعره، وشبهه بالعسل وهذه تعد قمة نجاح الشاعر ، واستعار لفظة (القلاص) للتعبير عن القصائد الجيدة وهي الإبل الطويلة القوائم ، واستعار لفظة (الشول) للقصائد غير الجيدة ، وأشار إلى أن قصائده التي سرقت ستعرف له لما فيها من خصائص تميزها عن قول شاعر آخر ، وبالمقابل ذكر عدم انتحاله للشعر وقدرته على قول القصائد الجيدة .

ويبدأ الاتجاه إلى الحضارة في وصف الشعر عند أبي نواس فيستعمل لفظة (أُليُّنها) لتهذيب الشعر لخلوه من التكلف ، ويشير إلى التأثير النفسي لشعره وقدرته على جذب القلوب وان من يطلع على شعره يعلم انه لا يمكن إصلاحه ، وارتبط حبه للشعر بحب حبيبتة للشعر .

ويرى الشافعي أن الشعر يزري بالعلماء ولولا ذاك لكان أشعر من لبيد وهو يفتخر بمقدرته الشعرية ويشبه الشعر بالياقوت ويجعل جماله يفوق جمال الرياض والإزهار وهي صورة حضرية فإذا كان بشار شبه نفسه بتثني الثعبان في طريقة الإنشاد فالشافعي يستفيد في الحركة والتموج عند الثعبان يشّبه بها تعدد موضوعاته وتجددها ويرى أن العداوة بين الشعراء ممكن أن تعالج بأسباب مادية .

وارتبطت تجربة الكتابة عند الشافعي بالشعور باللذة في حين ارتبطت عند أبي دلامة بالألم المتمثل بضرب جاريته بسوء خطها كما استفاد الشافعي من مباهج الحضارة في تصوير لذة الكتابة .

واستقرت عناصر التجربة الشعرية عند مسلم ابن الوليد بالسهر بالليل وصدق القول ومطاوعة الشعر وإحكام البناء والتأنق والتفنن بالقول .

أما أبوالعتاهية فيعسرعليه قول الشعر حينما يرتبك أمام الخليفة ويربط موت الشعر بموت الشاعر و أبو دلامة يجد مشقة في كتابة الشعر لأنه لم يكتبه بيديه بل يوكله إلى جارية لا تحسن وضع النقاط، وان الشعر قد حقق له مكاسبا مادية وان كان مخطئا في سلوكه ويعزف عن قول الشعر حين يرى مهنة أخرى مثل (النّخاس) تحقق أرباحا أكثر .

وبهذا تكون عناصر التجربة الشعرية في شعر القرن الثاني الهجري هي :

1- ارتباط عسر قول الشعر بهيبة الخليفة .

2- يطاوع الشاعر الشعر في غرض الغزل .

3- المكاسب المادية التي تحققها مهنة الشعر .

4- العزوف عن قول الشعر بسبب قلة أرباحه .

5- ازدراء بعض الشعراء بسبب مهنة الشعر، وتفضيل العلم على الشعر .

6- الافتخار بغموض الشعر .

7- ذكر الباعث النفسي للقصيدة ، وهو الخزن .

8- طريقة الإنشاد وأثرها في ردود فعل المتلقي وارتباط نجاح الشاعر بحسن استماع المتلقي وفشله برفض سماع المتلقي لشعره.

9- إعجاب الشاعر بنفسه في قول الشعر .

10- هناك من الشعراء من يجد مشقة في الكتابة ومنهم من يجد لذة في كتابة الشعر.

11- افتخار الشعراء بحسن القول فيجعلون أشعارهم محكمة النسج .

12- تشبيه الشعر بصورة بدوية بالإبل وبصورة حضرية بالياقوت والعطر والرياض .

13- أثرالرواة في سرقة الشعر .

الهوامش :

[1]- ينظر : البيان و التبيين ،1 /162 .

[2]- ينظر: الشعرو الشعراء ،81/1 .

[3] - ينظر: حلية المحاضرة ،426/422/1 .

[4]- ينظر : زهر الاداب و ثمر الالباب ، 1/ 422و2/ 426

[5]- يتيمة الدهر،405/3 .

[6] - الحداثة في النقد الأدبي ، 27 .

[7] - ينظر: ديوان أبي دلامة ، 137 .

[8] - ديوان أبي دلامة ، 85- 86 . الكتف : عظمة كتف الحيوان كانوا يكتبون عليه .

9 - ينظر : في الصرف و تطبيقاته ، 209 .

[10] - هو عافية بن يزيد الاودي ، ولاه المهدي القضاء بعسكر المهدي (الديوان ، 120) .

[11] - ديوان أبي دلامة ، 120 -121 .

[12] - ديوان أبي دلامة ، 121.

[13]- ينظر: ديوان أبي دلامة ، 31 ، 37 ، 46 – 51 ، 53 ،71 -75 ،84 -89 ، 90 ،110 ، 113 ، 116

[14]– ديوان أبي دلامة ، 70 . نوبة : النازلة اعترته نوبة عصبية او نوبة جنون .

[15] – ينظر : الأغاني ، 3\143 . و ديوان بشار بن برد : 1/ 10 18

[16] – ديوان بشار بن برد ، 176–177. (بنو البطال): أي أهل البطالة الذين وجدهم على الماء. وقوله (رداءه اليوم فوق الرجل يضطرب) معناه ان هذا القيم كان مختل الانضباط ، وربما أراد باليوم: النوم و ب(الرجل) : الرحل، فيكون معناه : إن هذا القيم قد اتخذ من النوم لباسا فأضطرب على ظهر الراحلة. يقول (بالشعر أنشده) يقول أنشدته الشعر، فأسهرته وصرفت النوم عن عينيه حتى أقتراب الصبح. النعيمي: من بني نعيم من نضر بن عدي من قبال حمير في اليمن. زاح باطله: أفاق من غفلته أو من سُكره. (افتض خاتم ما يجني به التعب) أي افتض جرة الخمر. وربما قصد: إن النعيمي نشط بما سمعه من شعر وانزاحت عنه علامات البطالة. (الأيم): الحية البيضاء اللطيفة ، وهي لا تضر أحدا، يقول: إن لم تكن حية لطيفة فقد أعجبت الرفاق، ورأيت في فعلك العجب.

[17] – ديوان بشار بن برد، 2\194. (تسحر طائر): صاح في السحر، والمقصود بالطائر: الديك. (السورة): القوة. وسورة السلطان: سطوته، وسورة الخمر: جدتها، (المتهجد): الذي يقوم الليل.

[18] – الأغاني 3\243.

[19] – ديوان بشار بن برد، 20/2.

[20] – ديوان بشار بن برد،2/ 20–21.

[21] – (اغنّ): في صوته غُنةٌ. و(العصفر): صبغ يميل لونه الى الحمرة.

[22] – (المهلوكة) : لعله اراد الهلك، و هو ما بين أعلى الجبل و أسفله (يشبه جيد المرأة في طوله بطول الجبل، و يجعل القرط جاريا فيه).

[23] – (الخضيد): المَثْنيّ. من خضدت العود فأنخضد اي ثنيته فانثنى من غير كسر يبين.

[24] – يقول تلك التي اشتهيتها وطاوعني الشعر في وصفها.

[25] – ديوان بشار بن برد 2\ 191 .

[26] – ينظر: دلائل الإعجاز 201–202 .

[27] – يشبه مديحه له بريح الورد، ويقول: لا احمل لك غير المحبة والثناء الحسن.

[28] – (المحكمات): القصائد او الابيات. و(الند): الابل الكثيرة المتفرقة، يراه مستحقا لمدحه ويشبه قصائده بالبرود المحكمة النسج.

[29] – ديوان بشار بن برد:4:23.

[30] – طبقات الشعراء: 28.

[31] – المصدر نفسه: 28.

[32] – ديوان بشار بن برد، 7/4.

[33] – المصدر نفسه، 57/4.

[34] – الأغاني، 3\135 – 136.

[35] ديوان السيد الحميري ، 6 .

[36] – الديوان،6 .

[37] ديوان السيد الحميري ،21 .

[38] – الأغاني ، 4/ 172 .

[39] - ديوان السيد الحميري ، 136 .

40– لسان العرب (صدع) .

[41] – ديوان السيد الحميري ، 114 .

[42] ديوان السيد الحميري، 30 .

[43] لسان العرب ، مادة حبر .

[44] ديوان السيد الحميري ، 193 ، حاك القصيدة : نسجها :ولائم بين اجزائها . و يقوي من الاقــواء . و هــو تختلف حركات الروي ,فبعضه منصوب او مجرور . و أقوى في الشعر : خالف بين قوافيه. و يلحن من اللحن : هو الميل في الكلام عن صحيح المنطق .

[45] الاغاني ، 397/4 .

46 المصدر نفسه ، 4 / 397 .

47 التلاد القديم من المال و عكسه الطارف . الرتل : الطيب من كل شيء .

48– خطل :الكريم .

[49] الشول : جمع الشائلة من الابل ، و هي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضــرعها وجف لبنها .

50 و العقل : جمع عقال : حبل يشد به البعير. أوضع البعير : أسرع في السير .

51 الذود ، الابل لا يتجاوز عددها الثلاثين و لا يقل عن الثلاث

52 ديوان ابن هرمة ، 184 و القلاص : من الابل الطويلة القوائم . الاقياد : جمع قيد و هو حبل يوضع فــي رجل الدابة فيمسكها .

[53]– ينظر لسان العرب: (غوص) ، (سرح) .

[54]– ديوان إبراهيم بن هرمة ، 98 .

[55]– الأغاني ، 16/20 : ينظر الديوان ، 142 150 .

[56]– ديوان أبي نواس ، 261 .

[57]– ديوان ابي نواس ، 248 .

[58]– ديوان ابي نواس ، 267 .

[59]– ديوان ابي نواس ، 150 .

[60]– عروة العذري : هو عروة بن حزام صاحب صاحب عفراء ، العاشق النجدي : جميل بثينة او قيس بــن الملوح.

[61]- ديوان ابي نواس ، 188 .

[62]- الاغاني ، 9/5 .

[63]- ديوان ابي نواس ، 471 .

[64] ديوان الإمام الشافعي ، 5 17 . وينظر: الامام الشافعي حياته وشعره ،7 .

[65] ديوان الإمام الشافعي ، 51 .

66 ديوان الامام الشافعي ،40 . اليواقيت :جمع ياقوت وهو حجر كريم ، و القريض : الشعر ، و الإكليل : عصابة تزين بالجواهر و التاج ، وتربي : تزيد و الربى جمع ربوة و هو ما ارتفع من الأرض ، و النادي : اجتماع سادة القوم و الندى الكرم ، و الديباج : ضرب من الثياب سداه و لحمته حرير . و الأسود ضرب من الثعابين لونه أسود ، والسالخ : الذي ينسلخ من جلده وخرج منه ، والمجاج :ما يمجه الإنسان من فيه ومجاج الفم الريق ومجاح النحل العسل .

[67]- ديوان الإمام الشافعي ، 132، الغانية : المرأة التي استغنت بجمالها عن الحلي ، الدوكاء : الطيب المسحوق ، و الدف : آلة موسيقية و نقر الدف : الضرب عليه .

[68]- ديوان الامام الشافعي ،31 .

[69] - ينظر: شرح ديوان صريع الغواني ، م 14 (المقدمة) .

[70]- شرح ديوان صريع الغواني ، 16 ، نقلا عن جمهرة الاسلام للشيزري ، مخطوطة ، نشرها في اخر ديوانه .

[71]- ديوان صريع الغواني ، 17 . نقلا عن جمهرة الإسلام للشيرزي .

[72]- شرح ديوان صريع الغواني ، 22 .

[73] شرح ديوان صريع الغواني ، 398 .

[74] شرح ديوان صريع الغواني ، 402 .

[75] (ليس يفحم) : اي ليس يعجز في قول الشعر . (المفحم) من الرجال الذي لا يقول الشعر – و ((الفطنة)) الالهام او الحذق الفهم . الأس : الأساس القديم و التأسيس في القافية ألف يفصلها عن الروي حرف .

[76] شرح ديوان صريع الغواني ، 182 .

[77] ينظر: الإبداع الشعري عند العرب ، 8 .

[78]- منهاج البلغاء : 169 .

79- التعته ، والمعته ، العتاهية؛ من كان فيه جنون واضطراب في العقل .

[80]- ديوان أبي العتاهية ، 5 .

[81]- الاغاني ، 4/ 11 .

82 - ديوان أبي العتاهية ، 8 .

83 - ديوانه ، 8 .

84 - الأغاني ،13/1 .

85 – ديوان أبي العتاهية ، 6 .
86 – ديوانه ،6 .
87– ديوان أبي العتاهية ، 406 –407 . لسن : البيان والفصاحة .
88– ينظر : الأغاني ، 11/4 .
89 – لسان العرب (فحم) .
90– ينظر : معاني النحو ، 305/3 .
91– في مفهوم الشعر ونقده ، 194 .
92– ديوان أبي العتاهية : 105 .
93– ديوان أبي العتاهية : 75 .

المصادر

– الابداع الشعري عند العرب من التأسيس الى الأخراج ، سعيد بكور ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ط1 ، الأردن ، 2010 م .
– الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، وطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1927م .
– الإمام الشافعي حياته وشعره ،يوسف عطا الطريفي ،الاهلية للنشروالتوزيع ،ط1، 2010م .
– البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطابع العبور الحديثة ، مكتب الساعدي للنشر والتوزيع ، ط1، القاهرة ، 2010 م .
– الحداثة في النقد الأدبي المعاصر، الدكتور عبد المجيد زراقط ، بيروت : دار الحرف العربي،ط1411،1هـ – 1991م .
–حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي الحاتمي، تحقيق جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، العراق، 1979م.
– دلائل الإعجاز عبد القاهرالجرجاني، تحقيق محمد رشيد رضا ، القاهرة 1372 هـ .
– ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق محمد صبار المعيبد، مطبعة الآداب في النجف الأشرف 1389 هـ – 1969 م .
ديوا ن أبي دلامة ، تحقيق الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الجيل ، بيروت، 2005م .
– ديوان أبي العتاهية، مطبعة دار صادر، د. ت .
– ديوان الإمام الشافعي ، شرح إيمان البقاعي ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، 2000م .
– ديوان أبي نواس شرح و ضبط نصوصه الدكتور عمر فاروق الطباع – شركة دار الأرقم بن ابي الارقم بيروت لبنان – ط 1، 1418هـ (1998م) .
– ديوان بشار بن برد ، شرح صلاح الدين الهواري ، دار الهلال ، 1988م.

ديوان السيد الحميري شرح ضياء حسين الأعلمي للمطبوعات، ط1،بيروت 1999م .
- زهر الآداب و ثمر الألباب، الحصري، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2008 م .
- شرح ديوان صريع الغواني ، تحقيق سالم الدهان ، دار المعارف ،ط3، القاهرة ، 1985م .
- الشعر على الشعر بحث في الشعرية العربية من منظور شعر الشعراء على شعرهم الى القرن الخامس الهجري، الدكتور الطاهر الهمامي وهو رسالة دكتوراه مطبوعة في تونس .
- الشعر و الشعراء ابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 2003م .
- طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستاراحمد فراج ،مطبعة دارالمعارف القاهرة، 1956م .
- في الصرف و تطبيقاته ، الدكتور محمود مطرجي، دار النهضة العربي ،ط1، بيروت، 2000م .
- في مفهوم الشعرونقده ، دكتورعبد المجيد زرقاط ، منشورات دار الحق ، ط1، بيروت، 1998م .
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر ، ط 6 ، بيروت ، 2008م .
- معاني النحو، دكتورفاضل السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، العراق،1990م .
- منهاج البلغاء و سراج الأدباء حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة دار الكتب الشرقية تونس 1966م .
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الثعالبي ، تحقيق ابراهيم صقر ، مكتبة مصر ، 2008م .

Summary

The topic of (The Poet's Description of His poetic Experience in His Poetry in the Second Century After Hijra) is not studied and analysised thoroughly. That is to say، the poet's unique subjectivity is to describe his poetic experience and innovative writing of poetry by himself. Yet، we did not rely in this paper on criticism sources but we launched from the works of the poets that say why should a poet always innovate? This paper answers the following questions: When does the poet find it difficult to write poetry? When is it easy? When is it hard to write poetry? When does he find it interesting? Does the poet's handsomeness or ugliness effect the topic of his poetry? When is the poetry liked? When does he stop writing? When does he love poetry? When does the writer feel as a stranger in his society? When does poetry die? When does it become immortal? We answer all these questions from the poets' points of view not the critics'.